

دراسة أدبية تحليلية لقافية الدكتور عيسى أبي بكر

إعداد:

جامع سعد الله عبد الكريم

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، نيجيريا

الملخص:

من المسلم به أن الدراسة التحليلية تقتضي النظر في مقومات النصوص الأدبية من حيث الملامح التعبيرية والشعورية، قبل إصدار الحكم لها بالجودة أو عليها بالرداءة. وتشمل تلك القيم مرامي الأفكار، ودلالات الألفاظ وإيجاءاتها، ثم الإيقاعات الموسيقية، والظواهر البلاغية. وقصد الباحث دراسة تلك العناصر في قافية الدكتور عيسى أبي بكر في وصف كتاب "الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري" للأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا؛ وكان الغرض من هذه الدراسة هو محاولة الوقوف على مقدرة الشاعر والمؤلف وديوان الإلوري. وفي الأخير يدعو الكاتب إلى تزود أدباء العربية الإسلاميين بتوفير الاتجاهات الإسلامية، من حيث الدين والمجتمع، والثقافة والتاريخ، والسياسة والإدارة في أعمالهم الأدبية، علما بأن الإسلام هو الدين الذي رضي به المولى للمسلمين، وأتم به نعمته على حملة دستوره الخالد.

ABSTRACT:

It is well known that studying a literary piece encompasses a critical look into its components and features, all which will pave way to studying its available thoughts, emotions, imaginations, styles and rhetorical devices. Therefore, this paper aimed at studying all the afore-mentioned in Isa Alabi Abubakar's poem on description and analysis of the contents of AbdulBaqy Shuaib Agaka's book entitled "Islamic Literature in Al-Iloriyy's Collection" and this study is to determine the extent at which the poet fulfilled the requirements of the descriptive poem writing in line with the Islamic trend. It is recommended that admirers of Islamism in

their literary pieces or writings should endeavor to utilize their writing skill to promote imparting the Islamic religious ethics and integrity in the citizens for the uplift of the nation.

المقدمة:

من المسلّم به أن النقد أو الدراسة تفسيران للنص الأدبي وتحليله وتعليل ما فيه وإظهار قيمته، ليتبين من خلال ذلك ما في النص من معنى جليل وخيال دقيق، وصياغة جيدة معجبة وأهداف إنسانية نبيلة، أو يتبين غير ذلك مما يدل على قدرة الأديب أو عجزه، وعلى تمكنه من فن التعبير أو ادعائه، وعلى رفعة شأنه بين الأدباء أو انحطاط منزلته؛ علما بأن الأدب نقد للحياة وتقويم لها، حتى يرتقي المجتمع سلوكا وحضارة، كلما ارتفعت عملية النقد وكلما تعددت طرقه ومناهجه.^(١) وعلى هدى هذا المفهوم سيقوم الباحث بدراسة النقاط التالية:

- نبذة عن حياة الشاعر وشاعريته.
- عرض أفكار القافية.
- دراسة تحليلية للقافية.

١- نبذة عن حياة الشاعر وشاعريته:

ولد الشاعر الدكتور عيسى أبي بكر عام ١٩٥٣م في كَمَاسِي الغَانَوِيَّة لأبوين إِبْرَانِيَّين. حيث ينتسب أبوه الشيخ أبوبكر إلى بيت العلم "غروما" حارة الغَمْبَرِيّ فهو أُوَيُوِي الأصل وإلوري النسب. وكانت أمه السيدة حنة تنتسب إلى مريدية جمهورية النيجر أو كتسنة، ولعل الأخيرة هي الأصح.^(٢)

تعلم الشاعر القرآن عند الشيخ محمد بن عيسى الغمبيري إلى عام ١٩٦٢م، كما تعلم مبادئ العلوم الشرعية عند أبيه، ثم التحق بمركز التعليم العربي الإسلامي-أغبيغي، حيث حصل الشهادتين الإعدادية والتوجيهية بين عامي ١٩٦٥-١٩٧١م.^(٣)

بعث الشيخ آدم عبدالله الإلوري الدكتور عيسى أبي إلى بلدة أَيْجَبِيْبُو بولاية أَوْشُنْ مدرسا بمدرسة نور الإسلام التي أسسها الحاج أوناعولابو عام ١٩٧١م، ثم بعثه أخيرا إلى دار العلوم بإلورن مدرسا ثم ناظرا. ونال شهادة الدبلوم

منجامعة بايرو-كنو، ونال الليسانس بجامعة إلورن عام ١٩٨٢م. ووظف محاضرا بكلية التربية-أورو حيث قضى شهرا لوظيفة أخرى حصل عليها من جامعة عثمان بن فودي-صكتو حيث عمل محاضرا بين عامي ١٩٨٤-١٩٩٤م، واختلف إلى جامعة بايرو-كنو أيضا لنيل ثم الماجستير بين ١٩٨٥-١٩٨٨م. وخلال تلك الأعوام درس الدبلوم العالي في تدريس العربية لغير الناطقين بها من جامعة الملك محمد بن سعود بالرياض عام ١٩٩١م، ثم عاد إلى جامعة إلورن محاضرا منذ عام ١٩٩٤م ونال منها شهادة الدكتوراه عام ٢٠٠١م.^(٤)

وأما عن شاعريته، فقد اعترف بشاعريته الفذة الشعراء النيجيريون بالعربية خاصة، وشعراء العربية بغرب إفريقيا عامة. وفي ذلك يقول السيد عبد الواحد جمعة أريبي: "لقد نطقت الأيام وأحداثها عن شاعرية السيد الدكتور عيسى أبي أبوبكر، ما ترجع بدايتها المعروفة لدى الأذاني والأقاصي إلى أواخر السبعينيات منذ عام ١٩٧٥م، حين احتفل المركز الأم في أغيغي بالعيد الفضي في الخامسة والعشرين عاما من تأسيسه. وقد اشتهر الشاعر في هذا الفن الشعري الديباجي برفقة الحس وسلامة الطبع ودقة الذوق، وغزارة الشاعرية، وطول النفس الفني، وروعة الإبراج، وثورة العاطفة، ووفرة اللغة".^(٥)

وللشاعر مقالات علمية عديدة في المجلات العربية المحكمة، وعدد من المؤلفات العلمية والفنية التي منها: ديوان صوت الخاطر (مخطوط)، وديوان الرياض، وديوان السباعيات، وشعر الجهاد لدى عبد الله بن فودي النيجيري، وأعمال العلامة الإلوري قراءة وتلخيص، وأساليب بلاغية في بعض مؤلفات الشيخ آدم عبدالله الإلوري.^(٦)

٢- عرض أفكار القافية:

فالأفكار هي المعاني التي تترجم عنها الصياغة الفنية، كمضمون كل عمل أدبي ومحتواه، فهي كالأداء التعبيري بالكلمة التي تعبر عن معان يريد الأديب الإفصاح عنها كتعبير النغم الموسيقي عن اللحن.^(٧) وكانت أفكار هذا النص واضحة في النظم والتركيب والترتيب سليمة من تناقض بعضها بعضا، وبعبارة عن سمة غامضة متفلسفة.

وتتمثل أفكار القافية لمدح فضيلة البروفيسور أغاكا وتقدير جهوده في فنونه الأدبية وتوقيره لمكانته الجليلة في تدريس علوم البلاغة والأدب والنقد، وتهنئته على نجاحه في إخراج كتابه "الأدب الإسلامي في ديوان الإلوري"، وهذه الأفكار موجودة في إطار النص كله فتوحي إليك تلك المعاني كلمات دالة نحو "جبل البلاغة" و"هذا الكتاب" كما يظهر في قوله:

جبل البلاغة أنت عبد الباقي ** ويظل حصّتك الكلام الراقي
عطر البيان يفوح من أرجائه ** نطقا وترسمه على الأوراق
يا من تعمّق في الفنون يديرها ** حسب الفهوم وطاقة الأذواق

وكذلك ظهرت في النص أفكار جزئية تعود إلى الدين، والثقافة، والاجتماع. ومن أفكار الدين: أهمية التزود بكمات الأهل، مع الدعوة أيضا إلى التحلي بالقيم الإسلامية، من حيث الإيمان وعمل الصالحات والتواصي بالصبر والمرحمة للنساء في الحياتين الدنيا والآخرة. ومنه الدعوة إلى أخذ الحذر في مناصرة آداب السخافة والنفاق، وأن الموهبة من الله لا تحتاج الفرح والبغي، بل الحمد لله وابتغاء الدار الآخرة، وزاد الشاعر بأن العلم من المواهب، ولكن قد يظل جهلا إذا كان في هوى غير الله، فيصير أمر صاحبه فرطا بأن اتبع هواه فغوى. وفي الأخير دعوة الشاعر للمرحوم "الإلوري" بأن يجعل ثواب أعماله وجزاء متقلبات في أضعاف باقيات صالحات. فكل تلك البيانات هي التي ساقها الشاعر في قوله:

أدب الإلوري بالهداية حافل ** فعلى المدارس نيله بسباق
ما بال آداب تعج سخافة ** في العالمين وترتجى بنفاق
وفخار أرباب الفنون نجاحهم ** في لم أشتات الورى لوفاق
والشعر ما حث النفوس على العلا ** والخير كان رغبة العشاق
ومواهب الإنسان تحمد كلما ** بذلت لنشر شريعة الخلاق
والعلم مثل الجهل إن ملكته ** حبل الهوى، أفضى إلى الإخفاق

ومن الأفكار الثقافية قوله أن "لغة الضاد لسان يعزر" إذ يتكلم به نسّم كبير في العالم، من العرب الأقحاح ومتعلميها ليكونوا على بصيرة في دينهم. وأقر الشاعر أن لممدوحه إسهما جبارا في الدراسات اللغوية والأدبية العربية في نيجيريا على الوجه الأخص كقوله: "شيدت صرحا.." تفسيراً لحديث ينص متنه في نفع المرء لأهله وشعبه ولو بهديه لهم إلى صراط مستقيم؛ وليس بدع في ذلك بل ورثه من شيخه العلامة الإلوري. ولذلك كله قال الشاعر:

شيدت صرحا شامخا وممردا ** (للضاد) بين السود دون شقاق
لغة تعزّز بالحقائق كلما ** جاءت تغذي العقل بالإشراق
ورفعت رأسك في صفوف أجلة الـ ** علماء في الأمصار والآفاق
هذا النبوغ الفذ أنسه الذي ** عم البلاد بفضله السباق
هو آدم المعطاء أنفق علمه ** فأخذت منه روائع الإنفاق
هذا الكتاب ينم عن آدابه ** وصلحه ومكارم الأخلاق
بلسانه العربي فصّل أمره ** يبدي فضائله بخير سياق

وأما أفكار الشاعر الاجتماعية والإصلاحية فهي تمثّل فضائل إنفاق العلم ونفع الأهل والشعب ولو بهديهم إلى الصراط المستقيم، وكلها من كدأب الإلوري من قبل، حيث أسس مركزه العربي الإسلامي، ووحد صفوف العلماء في شمال نيجيريا وجنوبها، وأنشأ رابطة الأئمة والعلماء، وشارك في عدة مؤتمرات داخل نيجيريا وخارجها، يبين فيها للناس جميعها أن الأمة الإسلامية خير أمة وسط يحرى لها أن يشد بعضها بعضا كالبنيان، ولا يتبعوا السبل فتفرق بهم عن سبيل الله. التي منها النفاق الذي يفسد المجتمع الإنساني ويحدث الخصومة، وذلك شأن اضطراب يحذر الإسلام منه. ولذلك يدعو الشاعر إلى إقبال القراء على الكتاب للانتفاع بفوائده الجليلة على ضوء البيانات السابقة فقال الشاعر:

هذا الكتاب يظل أروع صنعة ** قدّمها للجيل عبد الباقي
هذا الكتاب يسر روح مديرنا ** عند الإله مقسم الأرزاق

آثار آدم في الممات حياته ** هي بعد ما يأتي الفناء بواق
تهفو إليها النفس كي تخطى كما ** يهفو الظماء إلى شراب الساقى
والباقيات الصالحات ثوابه ** نعم من الرحمن دون نفاق

٢- دراسة تحليلية للقافية:

ومحاور هذه الدراسة تعود إلى القيم التعبيرية والشعورية، التي هيوضوح البنية من حيثدلالات الأفكار والألفاظ، وجمالها في الإيحاءات والإيقاعات الموسيقية (الخارجية والداخلية)، وقوتها بالملامح البلاغية؛ فهي عناصر الأسلوب التي "هي الوسيلة لنقل أو إظهار ما في نفس الأديب من تلك الظواهر المعنوية"^(٨).

- دلالات الألفاظ وإيحاءاتها في القافية:

دلالة الألفاظ: فهي تعتبر دقتها التي هي أقوى شفافية فنية في تخير الألفاظ المثيرة المفردة التي يعبر عنها العامل الصوتي من تذوق الجمال في بديع موازنته بين كلمتين،^(٩) ولكل لفظ من تلك الألفاظ إيحاؤه.

وعرّف ابن رشيق الإيحاءات بأنها في الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح، يعزب مجملا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه.^(١٠) وزاد عليه البروفيسور أغاكا: هي الفاتحة أمام النفس أودية الانفعالات والعواطف، إلى جانب ما تحمله من أفكار ومعان.^(١١)

وأقول: إنما تتضمن هذه العناصر لطائف بلاغية من تقديم وتأخير، ووصل وفصل، وذكر وحذف، وتعريف وتنكير، وشيء من أواصر أدبية بديعية من حسن تعليل للإفادة.

ومن أجلى الروابط الشفافية انصداع الشعر بالخبر في "جبل البلاغة" الذي يستوقع المبتدأ بمعنى حاجة الشخصية إلى علو الاسم لا اعتبارا بالمسمى، وذكر "عبد الباقي" بحرف نداء محذوف إذ لا احتياج بأكثر إلى نداءه ولكن تعريفه للناس. يظهر كل ذلك في قول الشاعر:

جبل البلاغة أنت عبد الباقي ** ويظل حصتك الكلام الراقي

وتم اختيار الشاعر للفظ "جبل" أصوات خفيفة تعبر عن أولية تعلمه البلاغة ثم يتطالها بالإرساخ من بعيد فوقعت اللام مشددة في آخر لفظ "يظل" إذ يكب على تعلمها انكبابا حثيثا، ثم دنت إليه البلاغة بتوسط الحرف المشدد في لفظ "حصتك" وأخيرا دانت له بشدة وقوة، فظهر المشدد في أول اللفظ "الراقي" راء شمسية متوسطة بين الشدة والرخاوة، سياقاً للبروفيسور ينتدي للناس حسب أذواقهم في التعبير.

واستخدام "عطر" للبيان لما يشم من أريجيات لطائفه، ولكن بالغة إلى أن تنطق ثم تخلد في بطون الأوراق، وذلك مما يبقى على الحس والعقل أحاسيس وعواطف، مما توجي إلى الحاضر حركات الممدوح حتى تعانق بجبل البلاغة وارتدى بأكمل زيتها.

وأما في قوله:

لغة تعزز بالحقائق كلما ** جاءت تغذي العقل بالإشراق

فحبذا لفظ "تعزز" من عدم التنافر لتباعد العين والزاي، إذ العين صوت حلقي مجهور رفعا واشتدادا لما يأتي بعده، والزاي صوت رخو مجهور يندفع الهواء من الرئيتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتين.^(١٢)

يريد الشاعر أن يصف ممدوحه بصفات جميلة منها الحفاظ على الملكات العقلية للعربي حيث أقر أنهترفع لغة الضاد عن غيرها واندفاعها عما يدنسها بالتشدد على معادها، بالحقائق التي تعد الغذاء للخالد للعقل بلفظ "تغذي" المتشدد الذال لقوة عملية غذاء الضاد وشدة حفاظها على الملكات العقلية، إذ هو تعبير عن التخليد الأبدي الثابت العريق المحفد.

ومنها كلمة "تغذي" للعقل يجعلها أقوم قوام الحياة التي تجعل العقل ماهرا باهرا يتفتح به البصر في الحقائق، وهي مشددة الذال لأن الطعام أو الغذاء مما يقوى الأعضاء وينيل الصحة الطبيعية. و"تعزز" بالزاي في صوت مجهور حيث بلغت لغة الضاد ربوع العالم بقواها الشديدة في الزاي المشدد ولين خلقها بالزاء المخفف.

وكذلك "يا" و"من" و"تعمق" في صورة نداء موصول بـ"من" التي تسوق له الأوصاف البليغة في التعمق، ولا سيما في صياغة أي عمل أدبي غير صياغته الطبيعية بنظرة إلى "الفنون".

وصور البلاغة "صرحا شامخا" يتعاطى الجميع له ويستبلغونه مندى رفعة بروائعه الأدبية، فظهر له الاسم في رفعته "بالجبل".

وفي "ورفعت رأسك" صورة بديعية حيث مثله بخطيب صعد إلى القمة المنبرية ليخطب المصلين ببدايات الفنون، ووصفه بحسن إرثه الأدبي من تراث شيخه الإلوري "رائد خطب منبرية" وديوان "لقطات من قصائد الإلوري".

وبلغ الشاعر قمة الذروة في استخدام الخيال الواسع لوصف أستاذه بكلمات رنانة جذابة، وإسلامية القافية تبدو أصالة فكرة الشاعر وجمال أسلوبه وشفافية روعة تصويره؛ ومن نماذجها قوله عن نوعية أدب الإلوري الإسلامي بتعبيره (أدب الإلوري بالهداية حافل). ويقصد بالأدب شعره ونثره لغرض التهذيب، ولذلك قال:

هو آدم المعطاء أنفق علمه ** فأخذت منه روائع الإنفاق

أدب الإلوري بالهداية حافل ** فعلى المدارس نيله بسباق

فالهاء صوت رخو مهموس يظل المزمارة منبسطة عند النطق به، ذلك بمعنى حسن غناء الإلوري لتأليف أشعاره، ولا سيما خفة الألفاظ الوالية لخلق الهويى الذي تعودته إلا "هياء الهداية" الجاهرة لمن أحدث الخصام بينهما، فيتزىي الإلوري برأي "إن عدتم عدنا"، ثم اتبعته الحروف الخفيفة امثالاً للآيتين "وإن تنتهوا فهو خير لكم" و"وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون...".

و"ينم" بمعنى يفشي، وآثر اللفظ الأول لكونه بياناً عن أثر الغير ونشره في حضوره وغيباه.

واستأنف على المدارس "بالفاء" في "فعلى المدارس نبه" للتعقيب، ذلك أن احتفال أدب الإلوري بالهداية يتعقب السباق في النيل والطلب.

"ما بال آداب" ففي هذه الجملة أتى باستفهام تقريرى، ونكّر الآداب الأخرى إهانة لها، إذ لم تتمثل للقيم الإسلامية، فتخلق الصحافة وتصير آداب تفریط وإفراط. وأفادنا بلطيفة في تشبيه العلم بالجهل، ووجه الشبه بينها تمليك أيهما حبل الهوى الذي يقود الإنسان الممثل لأدب لا إسلامي. كلمة "تهفو" فهي في شدة حاجة النفس إلى الشيء وعشقه فيه وشوقه عليه عاطفة داخلية، كما يحدث للظائم شدة حاجته إلى الروي.

- الإيقاعات الموسيقية في النص:

اهتم النقاد بعنصر الموسيقى اهتماما كبيرا، ومما يدل على ذلك قول الأستاذ أمين الله آدمو الغمبيري حيث يقول: "ينبغي أن يعرف الشاعر مضامين الموسيقى، وكذلك دارس الأشعار ومحللها على السواء من حيث العروض والقوافي، وما يوحي إليهم في ألفاظها وتراكيبها ومعانيها بشيء من الصناعة المتكلفة، بل إنه -عنصر الموسيقى- لأقرب شيء إلى الطبع المتدقق لمعرفة الموهبة الأصلية والمتزايدة عن طواعية وإختيار أو كراهية وإجبار.^(١٣)

فالموسيقى -كما ظهر تعريفها عند الدكتور شوقي ضيف- شرح المحلل جمال المنظوم في إيقاعه الخفي، ومحاولته تحليل جميع ما فيه بتصوير ما للألفاظ من جمال وما بنهما من توافق وانسجام في الحروف والحركات.^(١٤)

وبتعريف آخر، فالموسيقى "تجعل القصيدة بنية حية تامة الخلق والتدوين، والشكل والتكوين"،^(١٥) وزاد سيد قطب إفصاحا حتى ابتدر بقوله: "ولا يفوتني أن أنبه خاصة إلى الإيقاع الموسيقي في كل بيت، ومع أن الأبيات كلها من وزن واحد إلا أنها تختلف إيقاعا، لأن الوزن وحده لا يحدد لون الإيقاع، فالوزن يؤلف الموسيقي الخارجية المحسوسة، وهناك موسيقى داخلية ناشئة عن طبيعة توالي الحروف ومخارجها، لا من حركات هذه الحروف التي يتم بها الوزن العروضي".^(١٦) ونتج من هذه التعبيرات أن الإيقاع الموسيقي قسمان:

أ- الإيقاع الموسيقي الخارجي، وهو ماله صلة بالوزن والقافية.

ب- الإيقاع الموسيقي الداخلي، وهو ما يدرس طبيعة توالي الحروف ومخارجها.

الإيقاع الموسيقي الخارجي في النص:

البحر: اختار الشاعر البحر الكامل، المقطوع في الضرب، والوافي في العروض إلا في البيت الأول للترصيع، وضابطه هو:

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

مثاله في البيت الأول المرصع المقطوع:

جبل البلاغة أنت عبد الباقي ** ويظل حصتك الكلام الراقي

	دلباقي	غة أنت عب	جبل لبلا
	متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن
مراقبي	صتك لكلا	ويظل حص	
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن	

ومثال الوافي في العروض والمقطوع في الضرب:

أدب الإلوري بالهداية حافل * فعلى المدارس نيله بسباق

	ية حافلن	ري بلهدا	أدب لإلو
	متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن
بسباقن	رس نيلهو	فعللمدا	
متفاعلن	متفاعلن	متفاعلن	

ولا يوجد له -في طولها- عيب، إذ الإضمار الذي يحدث في بعض تفاعيل الوزن، من التعبيرات اللاحقة بها، ولا سيما في قسم الزحافات المفردة.

واختار الشاعر هذا البحر "الكامل" لأنه من البحور الطويلة السهلة ذات الإيقاعات الجياشة التي تنفعل لها النفوس وتضطرب لها القلوب، ولأنه ينتهي إلى أمور مقررة، ومحامد محررة، إلى جانب ما يحسه من الرقة^(١٧) في حب الممدوح - كما يصلح للوصف- فميج العاطفة تعبيراً عن طواعية قلبية ومطاوعة نفسية، فتتعدد مناقب الممدوح التي أكسبته مكانة "جبل البلاغة" بحقيقة لا مرء فيها صارم. ويثير به عواطف القراء والسامعين على سواء في طية سجل تفاصيل المعاني وتبسيط الأفكار، والبحر هذا صالح لحمل مثل هذه الأعباء.

القافية: استخدم الشاعر القافية المطلقة المردوفة الموصولة المجردة عن الخروج نحو: الراقي، سباق، الأوراق، وأثر الشاعر اختيار هذه القافية المطلقة-حسب فهم الباحث- لإيضاح القول، لأن القافية المطلقة أوضح في السمع وأشد تأثيراً للأذن،^(١٨) ولأن الروي فيها يعتمد ويزيد المتعة لحركة ما قبله، ولا سيما في كونه حرف مد.

وحرف الروي للقافية -كما هو ظاهر فيها من مطلعها إلى آخرها- هو صوت القاف الذي يعتبر من أوقع الأصوات في القوالب وأمتعها في الأسماع وأثرها للأذان، لأنه يتجهور بصوت الجرس، ويقرع الأذان في سماع حديثه كبرى، إذ ليس من الأصوات التي تعودها العرب كثيراً في ثنايا قصائدهم فيثير حساً مرهفاً وذوقاً مدرباً، ينشأ للحضور بعبقرية الشاعر، لكبر الرسالة التي يريد أن يؤديها إليهم بقواه العاطفية.

وأما بالنسبة لعيوب القافية، فالقصيدة بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، إذ لا يوجد فيها أي طارئ من العيوب للقافية، فالردف ملزم، والحدومفتوح الجميع، والروي خال من سناد التوجيه المتفرق الحركات فيه، والوصل بالياء أو النون (في الترنم).

الإنباع الموسيقي الداخلي في النص:

نلمح في صدارة الشعر، من البيت الأول، متعة الإيقاع بتقدم "جبل البلاغة" خبرا على "أنت" المبتدأ، في "الجيم" و"الياء" و"اللام" إلى "العين"، نرى أنها تترفع بالتدرج من السهولة إلى الصعوبة، ذلك إذا رددنا قراءتها مع ملاحظة حروفها ومخارجها:

جبل البلاغة أنت عبد الباقي ** ويظل حصتك الكلام الراقى

وفي تقرب الشدة من البعد في "يظل" إلى "حصتك" و"الراقى" بمعنى تدرج البروفيسور في تعلم البلاغة حتى استقر له ضبطها، واستطاع دراسة الأعمال الأدبية بها، ثم أقبل له الجمهور في ذلك الشأن، واعترفوا بمكانته العلياء فصار جبلا لها.

وتقدم الخبر لإسراع ما تستوقعه الأذان، ثم ذكر المبتدأ والنداء فحرفه محذوف للمنادى "عبد الباقي" بأنه لايناديه فقط، ولكن يذكر فعالياته الجبارة، واستأنفه بـ"يا من تعمق" في البيت الثالث ليعرفه من جهله أو لم تبد له إسهاماته الضخمة.

ولعلنا نحس الإيقاع "بال" المتبوع بالتنكير في هذا البيت "آداب" و"لام" بـ"ما" الاستفهامية التي سبقهما، تركيب ذو ذوق سليم وسمع متمع بالأصوات يشعر برنة الجرس، فجودة ترتيبها ومناسبة مارجها بخاصة "لام" بال المرفوع، تنبيه بالترفع عن آداب لا أصل لها في الهوية، إذ اللسان الذي يلحد إليه أعجمي، و"ما" الاستفهامية للتقرير بأن الأمر ليس فيه أدنى شك، فلا بد من الانحياز عن تلك الآداب الماجنة إلى الأدب الإسلامي الذي كان دستورَه قرآن عربي مبين.

ما بال آداب تعج سخافة ** في العالمين وترتجي بنفاق

- الصور البلاغية في النص:

أ- الظواهر المعانية:

الخبر: هو ما قُصدَ به حقيقة الخبر أو غرض آخر غير لازم الفائدة ولا فائدة الخبر.^(٩) ولم يزل الشاعر يخبر بمكانة عبد الباقي أغاكا وعلو كعبه في الثقلفة العربية التي تعلم كثيرها من شيخه العلامة الإلوري، ولا سيما فيما يمس

الأدب الإسلامي الذي يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتمسك بالقيم الإسلامية من عقيدة وعبادة وسلوك، كما تظهر في أشعار الإلوري التي درسها أعاكا. ولابتداء الإخبار بذلك كله، استخدم الشاعر أسلوب الخبر الابتدائي كما يظهر في الجمل التالية: (جبل البلاغة أنت، عطر البيان يفوح، لغة تعزز، هذا الكتاب ينم، هذا النوع الفذ أنسه، هو آدم المعطاء أنفق علمه، أدب الإلوري حافل، ومواهب الإنسان تحمد، العلم مثل الجهل. آثار آدم حياته، والباقيات الصالحات ثوابه): فكلها جمل اسمية بابتداء الخبر.

الإنشاء: هو ما يستدعي مطلوباً غير موجود وقت الطلب.^(٢٠) وقد أفرغ الشاعر في استعمال أساليبه، وكان أبرزها النداء والاستفهام والأمر، لكنها بسياقات غير مباشرة كالتقرير والتبجيل عند النداء في قوله (عبيد الباقي، يا من تعمق)، وقصد الإهانة عند الاستفهام كقوله (ما بال آداب)، وترغيب القارئ عند الأمر كقوله (فعلى المدارس).

التقديم والتأخير: اصطلاح البلاغيون أن لأسلوبه سياقات منها التخصيص للإقرار بشخصية الموصوف كقوله (جبل البلاغة أنت). وكذلك تعجيل المسرة، الأمر الذي أدى بالشاعر إلى تقديم المفعول به على فاعله دون أي مسوغ، لعل ذلك ناتج من أهمية الحصاة الأدبية كقوله (يظل حصتك الكلام الراقي).

التعريف والتنكير: لم يزل أسلوب الشاعر في قوله (آداب) لقصد إهانة الآداب غير الإسلامية تنكيراً لها لأنها غير مرحّب بها في اتجاه الأدب الإسلامي. زأما العهد الذكري فيظهر في تعريف لفظ (الإنفاق) الذي يعود إلى إنفاق العلم كما سبق في قوله روائع الإنفاق.

ب- الظواهر البيانية:

التشبيه: وهو إلحاق أمر بأمر في صفة جامعة بينهما مع الأداة.^(٢١) واستطاع الشاعر تزيين شعره بأنواع التشبيه من المؤكد والمفصل والبلوغ باعتبار ذكر الأداة ووجه الشبه أو حذفها. ومثلاً في قوله (جبل البلاغة أنت) تشبيهاً بليغاً لحذف الأداة ووجه الشبه، فهو يشخص فيه ممدوحه بقمة الجبل في البلاغة التطبيقية. وفي زاوية ثانية استخدم

الشاعر تعبيره (والعلم مثل الجهل إن ملكته حبل الهوى) تشبيها مفصلا ومؤكدا لذكر وجه الشبه والأداة على التوالي، فهو يقصد به أن العلم قد يُشقي كالجهل إذا كان حبل الهوى قائده. وأما قوله (تهفو النفس كما يهفو الظماء) تشبيها مؤكدا مفصلا لذكرهما أيضا، فهو لتصوير حاجة القراء إلى الكتاب كحاجة النفس الظامئة إلى الماء.

المجاز: هو اللفظ المستعمل في غير ما وُضِعَ له لعلاقة غير المشابهة،^(٢٢) واستخدم الشاعر المرسل منه كقوله (شيدت صرحا) مجاز للغة الضاد في بيان عزتها وعلاقته محلية، وقوله (تغذي العقل) مجازا عقليا يعنى رائعته النافعة.

الاستعارة: وهي اللفظ المستعمل في غير المعنى الذي وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي.^(٢٣) وفي قول الشاعر (ورفعت رأسك في صفوف أجلة) استعارة تصريحية بلفظ "صفوف" المشبه به، وتبعية للفظ "رفعت" المشتق، ومطلقة لعدم ملائم يعني علو مكانته بين البلغاء حتى لُقِبَ بجبل البلاغة. وأما (عطر البيان) يفوح من أرجائه نطقا وترسمه على الأوراق) فهو استعارة تصريحية لذكر "عطر" المشبه به، ومكنية لجمود اللفظ، ومجردة للفظ "نطقا" حيث شبه منطقته بالعطر الفائح من أرجاء الفم بالمالح، ويقصد به الشاعر عدوبة تعبيره المتسم بالبلاغة العربية.

الكناية: بلسانه العربي: كناية عن لغة الضاد، إذ يلزم وجود اللسان للنطق فيلزم معناه، والنكته كناية عن نسبة.

ج- الظواهر البديعية:

المحسنات اللفظية:

الاقْتِباس: هو أن يُضَمَّنَ المتكلم نصه الأدبي شيئا من القرآن أو الحديث،^(٢٤) تفخيما لشأنه على وجه لا يُشعر بأنه منه. وقد أحسن الشاعر أسلوب الاقتباس حيث قال: (والباقيات الصالحات ثوابه) وهو من سورة الكهف فالآية "المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا". ظهر من خلال ذلك أن الشاعر صار متعبدا بهذه الآية وداعيا الله سبحانه وتعالى أن يؤثرها في آثار آدم حتى يحيا الحياتين خالدا فيهما، فبالتركات في الدنيا وثواب الخيرات لعمل خير قام به في الدنيا للأخرة.

الجناس: هو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى^(٢٥) ويظهر ذلك في قول الشاعر: (الباقي والراقي، سياق وسباق، وتهفو ويهفو) لتباين نوع الحروف في بعضها؛ فكل منها جناس غير تام.

السجع: هو تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو حرفين متقاربين أو حروف متقاربه في النثر أو الشعر،^(٢٦) ويتنوع إلى المطرف والمرصع والمتوازي، ولكن سنكتفي بالأخير في لفظي (الباقيات الصالحات) حيث اتفقا في الوزن والنعت لكن دون النقيضة، وهو سجع متوازي.

المحسنات المعنوية:

براعة الاستهلال: وهي الابتداء بما يكون إشارة إلى ما سيق الكلام من أجله، مشعرا بالمقصود ومنبئا به.^(٢٧) ونلمس ذلك في بداية القافية حيث قل الشاعر: (جبل البلاغة)، ومنه يشعر القراء بأن الشاعر يريد أن يورد إسهامات عبد الباقي أغاكا في تطوير الثقافة العربية الإسلامية محاضرة وتأليفا.

المقابلة: هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو بمعانٍ متوافقة ثم يقابل بينهما على الترتيب،^(٢٨) وندرك الشاعر يقول: (أدب الإلوري بالهداية حافل... ما بال آداب تعج سخافة). فقد قابل الشاعر بين أدب الإسلامي وبين آداب أخرى غير إسلامية فنكرها. وكذلك في ذكر خصائصهما من الهداية للأول والسخافة لغيرها.

حسن التخلص: هو أن يبتدئ الأديب بغرض من كلامه، ثم ينتقل إلى غرض آخر بدون تكلفة.^(٢٩) نجد لهذا الأسلوب مثلاً في القافية حين شرع الشاعر يصل نبوغ الأستاذ عبد الباقي أغاكا بعبقريته شيخه العلامة الإلوري الذي دربه على منهج الأدي الإسلامي فقال:

هذا النبوغ الفذ أنسه الذي ** عم البلاد بفضل السباق
هو آدم المعطاء أنفق علمه ** فأخذت من روائع الإنفاق

الخاتمة:

استطاع الباحث أن يقر نظرية الأدب الإسلامي من حيث الالتزام، حيث يلتزم الأدباء المسلمون بقوة البناء وإحكام النسج لإحياء الوعي الإسلامي في قلوب الأمة المسلمة، والعلامة الإلوري من عباقرته، فقام الشاعر بتقريبه لكتاب الأستاذ أغاكا الذي يمثل دراسة فنية لديوان شيخهما على منهجية الأدب الإسلامي. ويبدو أن الشاعر موفق في إعداد قافيته في شتى الجوانب التي منها دلالات الألفاظ وإحياءاتها، ثم موسيقاها الخارجية والداخلية ذات المعاني الصوتية، ثم الصور البلاغية. وأخيراً يقترح الباحث للقراء أن يحافظوا على أهمية الالتزام بمنهجية الأدب الإسلامي والتزود بقيمه وأهدافه عقيدة وعبادة وسلوكاً وتوعية.

الهوامش:

- ١- محمود، عبد الحليم علي (الدكتور): النصوص الأدبية تحليلها ونقدها، ط٢، شركة مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع- جدة، الرياض، ص ١٨-١٩.
- ٢- مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الشاعر بتاريخ ٢٠-١-٢٠١١م.
- ٣- جمبا، مشهود محمود محمد (الدكتور): "الشاعر في سطور" في ديوان الرياض لعيسى أبي بكر، ط ١، عام ، مطبعة أبي جمبا الإنتاجية، إلورن.
- ٤- المرجع نفسه، والترجمة نفسها.
- ٥- أربي، عبد الواحد جمعة: مقالته النقد الأدبي، في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، لاغوس-نيجيريا، ص ١٢.
- ٦- مقابلة شخصية أجراها الباحث مع الشاعر بتاريخ ٢٠-١-٢٠١١م.
- ٧- قطب، سيد (الأستاذ): النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ط غير مذكورة، عام ١٩٧٦م، دار الشروق، بيروت-لبنان، ص ٣٧.
- ٨- الشائب، أحمد (الأستاذ): الأسلوب، ط٧، عام ١٩٧٦م، مطبعة النهضة المصرية، مصر، ص ٤١.
- ٩- أغاكا، عبد الباقي شعيب (البروفيسور): أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فودي، ط٢، عام ٢٠٠٠م، مركز المضيف لخدمات الكمبيوتر، إلورن-نيجيريا، ص ٧٩.
- ١٠- القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده (تحقيق محي الدين عبد الحميد)، ج١، ط ٥، عام ١٩٨١م، دار الحل، بيروت-لبنان، ص ٣٠٢.
- ١١- أغاكا، عبد الباقي شعيب (البروفيسور): المرجع السابق، ص ٩٥.
- ١٢- أنيس، إبراهيم (الدكتور): موسيقى الشعر، ط٥، عام ١٩٧٢م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٥٧.

- ١٣- الغميري، أمين الله آدمو (الأستاذ): صور من الاتجاهات الفنية في أدبنا العربي النيجيري المعاصر، ط ١، عام ٢٠٠٣م، مطبعة شريف بلا للطباعة والنشر، كنو-نيجيريا، ص ٦٦.
- ١٤- ضيف، شوقي (الدكتور): في النقد الأدبي، ط ٥، عام ١٩٦٢م، دار المعارف، كورنيش- القاهرة، مصر، ص ١٢٧.
- ١٥- المرجع نفسه، ص ١٥٣.
- ١٦- قطب، سيد (الأستاذ): المرجع السابق، ص ١٢.
- ١٧- أنيس، إبراهيم (الدكتور): موسيقى الشعر، ص ٥٦.
- ١٨- أنيس، إبراهيم (الدكتور): أصوات لغوية، أمور الطبع غير مذكورة، ص ٦٣.
- ١٩- الهاشبي، السيد أحمد: جواهر البلاغة العربية، ط غير مذكورة، عام ٢٠٠٠م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص ٤٦.
- ٢٠- أغاكا، عبد الباقي شعيب (البروفيسور): المرجع السابق، ص ١٧٤.
- ٢١- ناصف، حفي وأخرون: دروس البلاغة (شرح محمد بن صالح العثيمين)، ط ١، عام ٢٠٠٩م، دار الهداية للنشر والتوزيع، جمهورية مصر العربية، ص ٩٧.
- ٢٢- عباس، فضل حسن (الدكتور): البلاغة فنونها وأفتانها (علم البيان والبدیع)، ط ١، عام ١٩٨٥م، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ص ١٤٩.
- ٢٣- الإلوري، آدم عبد الله: دروس البلاغة العربية، ط ٢، عام ١٩٨٦م، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغبي، لاغوس-نيجيريا، ص ١٨.
- ٢٤- الجارم، علي وأمين، مصطفى: البلاغة الواضحة، أمور الطبع غير مذكورة، ص ٢٧٠.
- ٢٥- المرجع نفسه، ص ٢٦٥.
- ٢٦- المرجع نفسه، ص ٢٧٣.
- ٢٧- عبد الغني، أيمن أمين: الكافي في البلاغة، ط غير مذكورة، عام ٢٠١١م، دار التوفيقية للتراث، درب الأتراك خلف الجامع الأزهر-القاهرة، ص ١٩٥.
- ٢٨- الجارم، علي وأمين، مصطفى: المرجع السابق، ص ٢٨٥.
- ٢٩- المرجع نفسه، ص ٢٧٢.

